— ٧ —

المؤرخون السوريون فى مصر

فى القرن التاسع عشر

هاجر إلى مصر فى أوائل القرن التاسع عشر عدد من السوريين ، وقد ألحق محمد على بعضهم مترجمين فى مدارسه العليا الجديدة وفى إدارات حكومته ، وقد ساهموا فى حركة الترجمة فى عصر محمد على ونقلوا كثيراً من الكتب عن الفرنسية أو الإيطالية إلى اللغة العربية .

وفى النصف الثانى من القرن التاسع عشر — وخاصة فى عصر إسماعيل — هاجر إلى مصر فوج آخر من السوريين واللبنانيين ، وقد شارك هذا الفوج فى النهضة الثقافية فى القرن التاسع عشر وما بعده بجميع ألوانها ، فاشتغلوا بالصحافة والتمثيل والتأليف ، وقد نبغ منهم عدد ممن ألف فى التاريخ ، ولا نستطيع أن نتكلم عن التاريخ فى مصر فى القرن التاسع عشر دون أن نشير إليهم .

سليم نقاش :

من هؤلاء المؤرخين السوريين سليم خليل نقاش[١] المتوفى سنة ١٨٨٤ ، وبيت النقاش بيت مشهور فى لبنان ، اشتغل كثيرون من أفراده بالعلم والأدب والصحافة ، وكان سليم أديباً صحفياً ، وقد جاء إلى الاسكندرية وتعاون هناك مع صديقه أديب إسحاق على تحرير جرائده التى أنشأها فى الإسكندرية والقاهرة ، مثل العصر الجديد ، والمحروسة ، والتجارة ، وقد شاهد أحداث الثورة العرابية بنفسه ، وأرخ لها فى كتابه الموسوعى الضخم « مصر للمصريين » الذى يقع فى ٩ أجزاء ، وقد قسم كتابه ثلاثة أثلاث ، الأجزاء الثلاثة الأولى أرخ فيها لأسرة محمد على إلى أوائل عهد توفيق ، والثلاثة أجزاء الثانية أرخ فيها لعهد توفيق وانتهى فيها بإخماد الثورة العرابية واحتلال الإنجليز لمصر ، والأجزاء الثلاثة الأخيرة خصصها لمحاكمات العرابيين .

وقد طبعت الأجزاء الستة الأخيرة من الرابع إلى التاسع فى مطبعة جريدة المحروسة سنة ١٨٨٤ قبيل وفاته ، أما الأجزاء الثلاثة الأولى فقد أشار المؤلف إلى أنه سيبدأ طبعها بعد الانتهاء

---

(١) ترجمته فى : جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ٤/٢٤٨-٢٤٩ ؛ وسركيس : معجم المطبوعات العربية .

من طبع الأجزاء الستة الأخيرة ، ولكنها لم تطبع ، ويقال إنها طبعت وأعدمت بأمر الحكومة المصرية لأنه تحدث فيها عن محمد على وإسماعيل بصراحة لم ترض عنها الحكومة .

والأجزاء التى طبعت سجل هام جداً لدراسة الثورة العرابية . وخير ما يميز هذا الكتاب أنه ملىء بالوثائق الرسمية ، المصرية والأوربية عن هذه الثورة ومقدماتها وأحداثها ورجالها ، وعن موقف الدول من مصر إبان هذه الثورة وقبلها وبعدها ، ويبدو أن النقَّاش كان حريصاً على جمع هذه الوثائق بأنواعها المختلفة ومن كل مكان ، ففيه صور برقيات وقرارات ورسائل متبادلة بين قناصل الدول الأوربية والحكومة المصرية ، وفيه صور للمراسيم الصادرة بتولية الوزارات ، وللخطب وقصائد الشعر التى كانت تلقى لإثارة الحماس فى نفوس المصريين ، وفيه سجل بأسماء الأماكن التى احترقت فى الإسكندرية نتيجة لضرب الإنجليز لها بقنابلهم ، وفيه صور للمنشورات الموجهة إلى المصريين من عرابى أو من الخديو توفيق أو من السلطان .

وأهم ما فيه النص الحرفى الكامل لاستجواب المتهمين من زعماء الثورة ورجالها ومحاكماتهم .

وقد رجع النقاش إلى السجلات المصرية ، كما رجع إلى مجموعات الوثائق الأجنبية ، فهو قد رجع مثلاً إلى الكتاب

الأزرق الذى تصدره الحكومة الإنجليزية ، يقول فى ج ٥ ، ص ٣٦ : « وقد رأينا فى الكتاب الأزرق صورة رسالة تلغرافية بعث بها اللورد دوفرين سفير إنجلترا بالإستانة إلى اللورد غرنفيل وزير خارجيتها .. الخ » .

نعوم شقير :

ومن هؤلاء المؤرخين السوريين نعوم شقير ، وقد تلقى علومه الأولى فى الجامعة الأمريكية ببيروت ، ثم رحل إلى مصر ، والتحق بخدمة حكومة السودان ، وتوفى فى القاهرة سنة ١٩٢٢ ، وقد أفاد شقير كثيراً من إقامته الطويلة فى السودان ، فألف كتاباً كبيراً فى تاريخه سماه « تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته » ، وطبع فى القاهرة سنة ١٩٠٣ ، ولعله أول كتاب تفصيلى يكتب فى تاريخ السودان باللغة العربية .

ولنعوم شقير كتابان آخران ، أحدهما فى « تاريخ سينا » ، وقد طبع فى القاهرة سنة ١٩١٦ ، ولا يقل أهمية عن تاريخه للسودان ، والثانى قد يدخل فى باب الأدب فعنوانه « أمثال العوام فى مصر والسودان والشام » (طبع فى القاهرة ١٩٠٣) ، ولكن المؤرخ يستطيع أن يفيد منه كثيراً عند دراسة الحياة الاجتماعية فى هذه الأقطار الثلاثة .

جورجى زيدان .

وكبير المؤرخين السوريين فى مصر فى أواخر القرن التاسع عشر هو جورجى زيدان[1] ، وقد ولد جورجى فى بيروت سنة ١٨٦١ ، والتحق بالجامعة الأمريكية ليدرس الطب ، ولكنه لم يكمل دراسته ، ورحل إلى مصر لإتمام هذه الدراسة بمدرسة قصر العينى الطبية ، غير أنه لم يلبث أن تحول عن دراسة الطب واشتغل بالأدب والصحافة فأشرف على تحرير جريدة الزمان لمدة سنة ، ثم رافق الحملة النيلية إلى السودان فى سنة ١٨٨٤ مترجماً بقلم مخابراتها ، وعاد بعد ذلك إلى بيروت فدرس فيها اللغتين العبرية والسريانية ، ثم رحل إلى لندن ، وعاد منها إلى مصر واستقر بها إلى أن توفى . وفى مصر أشرف أول الأمر على تحرير مجلة المقتطف ثم استقال وأنشأ لنفسه مجلة الهلال فى أواخر سنة ١٨٩٢ ، وانقطع إلى التأليف التاريخى فأخرج عدداً كبيراً من المؤلفات التاريخية القيمة ، ومعظمها فى تاريخ العرب والإسلام ، وفيما يلى أهم هذه المؤلفات :

١ — أنساب العرب القدماء ، القاهرة (بدون تاريخ) .

---

(١) انظر ترجمته فى آخر الجزء الرابع من كتابه تاريخ آداب اللغة العربية ؛ سركيس . معجم المطبوعات العربية .

٢ — تاريخ انجلترا ، القاهرة ١٨٩٩ .

٣ — التاريخ العام منذ الخليقة إلى الآن ، الجزء الأول ، بيروت ١٨٩٠ .

٤ — تاريخ الماسونية العام القاهرة ١٨٨٩ .

٥ — العرب قبل الإسلام ، القاهرة ١٩٠٨ .

٦ — تاريخ التمدن الإسلامى ، ٥ أجزاء ، القاهرة ١٩٠٢ — ١٩٠٦ .

٧ — تاريخ آداب اللغة العربية ، ٤ أجزاء القاهرة ١٩١١ .

٨ — تاريخ مصر الجديد من الفتح الإسلامى إلى الآن ، جزءان ، القاهرة ١٩١١ .

٩ — تراجم مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر ، جزءان ، القاهرة ١٩٠٧ .

وجورجى زيدان يعتبر الرائد الأول فى كتابة القصة التاريخية ، فقد ألف ثمانى عشرة قصة طويلة استقاها من تاريخ الإسلام والعالم الإسلامى منذ عهد الرسول إلى عصر محمد على .

وإلى جانب هذه الفئة من السوريين والمسيحيين ظهرت فئة أخرى من السوريين المسلمين ، وقد اشتغلوا عند استقرارهم فى مصر — كما اشتغل مواطنوهم المسيحيون — بشئون الثقافة والصحافة

جورجي زيدان

obeikandl.com

والتأليف ، ولكنهم كانوا أكثر عناية بالثقافة الإسلامية وبالتاريخ الإسلامى وأحواله الماضية ومستقبله بوجه عام ، ومن هؤلاء محمد كرد على ، وعبد الرحمن الكواكبى ، ومحمد رشيد رضا ، ورفيق العظم .

محمد كرد على :

أما محمد كرد على فقد اشتغل فى مصر بالصحافة وقتاً ما وأنشأ مجلة « المقتبس » وظل يشرف على تحريرها سنوات طوالاً ، وألف بعض الكتب التاريخية ، ولكنه لم يلبث أن عاد إلى وطنه ، وكان له هناك فى النصف الأول من القرن العشرين نشاط علمى ضخم ، ليس هنا مجال التحدث عنه ، فإن كرد على يعتبر من كتاب ومؤرخى القرن العشرين .

عبد الرحمن الكواكبى :

وأما عبد الرحمن الكواكبى ، فقد كتب الكثير من الفصول والمقالات فى الصحف المصرية ، وزار كثيراً من أجزاء العالم الإسلامى ، ومال بكتابته إلى الفكر السياسى أكثر من ميله إلى التاريخ ، وخير إنتاجه فى هذا الميدان كتاباه القيمان : « أم القرى » و « طبائع الاستبداد » .

رشيد رضا :

وأما رشيد رضا فقد تتلمذ على الشيخ محمد عبده ، واتجه إلى العناية بالدراسات الدينية ، ولعبت مجلته المنار دوراً هاماً فى هذا الميدان داخل مصر وخارجها ، وقد خدم التاريخ خدمة جليلة بكتابه الضخم الذى وضعه للتأريخ لحياة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده .

رفيق العظم :

وأما رابعهم رفيق العظم فقد كان أكثرهم توفراً على دراسة التاريخ والكتابة فيه ، ورفيق ينتمى إلى أسرة العظم الشهيرة فى سوريا ، ولد فى دمشق سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م) ، ونشأ محباً للتاريخ والأدب ، وقد جاء إلى مصر حوالى سنة ١٣١٠ هـ (١٨٩٤ م) واتخذها له وطناً منذ ذلك التاريخ ، وقد كتب كثيراً من المقالات والأبحاث فى صحفها ومجلاتها ، وقد ألف فى التاريخ كتباً كثيرة ، هذا بيانها :

١ — أشهر مشاهير الإسلام ، ٤ أجزاء ، القاهرة ١٩٠٣ .

٢ — البيان فى التمدن وأسباب العمران ، القاهرة ١٩٠٤ م

٣ — تنبيه الأفهام إلى مطالب الحياة الاجتماعية فى الإسلام ، القاهرة ١٣١٨ .

٤ — الجامعة الإسلامية وأوربا ، القاهرة ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) .

٥ — رسالة فى بيان كيفية انتشار الأديان ، وكون الدين الإسلامى قام بالدعوة لا بالسيف . القاهرة (بدون تاريخ) .

obeikandl.com